مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(كولوسي ٣: ٤-١١)

يا إخوةُ متى ظهرَ المسيحُ الذي هو حياتُنا فأنتم أيضاً تَظهرون حينئذٍ معهُ في المجد* فأمِيتوا أعضاءَكم التي على الأرضِ الزنى والنجاسةَ والهوى والشهوةَ الرديئةَ والطمعَ الذي هو عِبادةُ وثَن* لأنَّهُ لأجل هذه يأتي غضبُ اللهِ على أبناءِ العِصيان* وفي هذه أنتم أيضاً سلكتُم حيناً إذ كنتم عائشين فيها* أمَّا الآنَ فأنتم أيضاً اطرَحوا الكُلَّ الغضبَ والسُخْطَ والخُبْثَ والتجديفَ والكلامَ القبيحَ من أفواهِكم* ولا يكذِبْ بعضُكم بعضاً بل اخلعوا الإنسانَ العتيقَ معَ أعمالِه* والبَسوا الإنسانَ الجديدَ الذي يتجدَّدُ للمعرفةِ على صورةِ خالقهِ* حيث ليس يونانيٌّ ولا يهوديٌّ لا ختانٌ ولا قَلَفٌ لا بربريٌّ ولا إسكيثيٌّ لا عبدٌ ولا حرٌّ بل المسيحُ هو كلُّ شيءٍ وفي الجميع.

أحد الأجداد

«لقد زكيت الآباء القدماء، وبهم سبقت فخطبت البيعة التي من الأمم، فليفتخر القديسون بالمجد، لأن من زرعهم أينع ثمرٌ حسيب، وهو التي ولدتك بغير زرع...» (طروبارية أحد الأجداد).

مَنْ يتابع الدورة الطقسية الكنسيَّة يلاحظ انه ابتداءً من أول كانون الأول تتوالى أعياد الأنبياء بشكل كثيف: ناحوم (١ ك١) وحبقوق (٢ك١) وصوفونيا (٣ ك١) وحجاي (١٦ ك١) ودانيال والفتية الثلاثة (١٧ ك١). هذا الترتيب مقصود من الكنيسة وذلك في إطار التهيئة لعيد ميلاد ربنا يسوع المسيح بالجسد. فالأنبياء هم ناقلو الوعد الإلهي بقدوم المخلِّص: «ها العذراءُ تحبَلُ وتلِدُ ابناً وتدعو اسمه عمَّانوئيل الذي تفسيره الله معنا» (إش ٧:١٤). وبما انهم هيأوا الطريق لمجيئه فمن اللائق جداً أن نحتفل بذكراهم قبل عيد الميلاد كمساهمين في عمل الله الخلاصي.

أيضاً في إطار التهيئة لاستقبال المخلِّص رتب التقليد الكنسي الشريف أن نقيم في الأحد الثاني قبل عيد الميلاد، أي في هذا الأحد، تذكاراً لأجداد الرب يسوع «الذين كانوا قبل الشريعة وفي الشريعة». في هذا اليوم نُعيِّد لكل الأجداد المذكورين في العهد القديم الذين آمنوا بالله وخدموه وشهدوا له في حياتهم واستشهدوا من أجل إيمانهم، بدءاً من آدم حتى يوحنا المعمدان: «هلّموا يا محبّي الأعياد لنمدح بالترتيل محفل الأجداد: آدم الأب الأول وأخنوخ ونوح وملكيصادق، وإبرهيم وإسحق ويعقوب، ثم الذين بعد الشريعة: موسى وهرون ويشوع وصموئيل، ومعهم أشعياء وإرمياء وحزقيال ودانيال والأنبياء الإثني عشر وأليشع، والجميع كافة وزخريا والمعمدان، والذين كرزوا بالمسيح حياة جنسنا وقيامته» (صلاة غروب الأجداد). طبعاً لا تنسى الكنيسة النسوة الفاضلات اللواتي كان لهنَّ دور في تحقيق خلاصنا: «يا رب ان البنات قديماً، قد صنعن بقدرتك قوّات، أعني حنة ويهوديت ودبورة ويائيل وأستير وسارة ومريم أخت موسى وراحيل ورفقه وراعوت السامية الفرح» (من صلاة سَحَر العيد).

المفارقة تكمن في ان قسماً من هؤلاء المذكورين أعلاه والمعتبرين من «أجداد المسيح» ليسوا عبرانيين مثل

العدد ٢٠٠٦/٥١

الأحد ١٧ كانون الأول

أحد الأجداد

تذكار القديس دانيال النبي والفتية القديسين الثلاثة حنانيا وعازريا وميصائيل، وأبينا الجليل في القديسين ديونيسيوس رئيس أساقفة أجينة

اللحن الثاني

الإنـجيل

(لوقا ١٤:١٦–٢٤)

قال الربُّ هذا المثَل. إنسانٌ صنعَ عشاءً عظيماً ودعا كثيرين* فأرسل عبدَهُ في ساعة العشاءِ يقول للمدعوّين تعالوا فإنَّ كلَّ شيءٍ قد أُعِدَّ* فطفِق كلُّهم واحدٌ فواحدٌ يَستَعفون. فقال لهُ الأول قد اشتريتُ حقلاً ولا بدَّ لي أن أخرجَ وأنظرَهُ فأسألك أن تُعْفِيَني* وقال الآخرُ قدِ اشتريتُ خمسةَ فدادينِ بقر وأذ ا ماض لأُجرِّبَها فأسألك أنْ تُعفيَني* وقالَ الآخرُ قد تزوَّجتُ امرأةً فلذلك لا أستطيعُ أن أجيءَ* فأتى العبدُ وأخبر سيِّدَهُ بذلك* فحينئذٍ غضِبَ ربُّ البيتِ وقال لعبدهِ اخرُجْ سريعاً إلى شوارعِ المدينةِ وأزقّتِها وأدخِلِ المساكينَ والجُدْعَ والعميانَ والعُرْجَ إلى ههنا* فقال العبدُ يا سيّدُ قد قُضِيَ ما أمرتَ بهِ ويبقى أيضاً محلٌّ* فقال السيّدُ للعبد اخرُج إلى الطُّرقِ والأسيجةِ واضطَّرِرْهم إلى الدخولِ حتى يمتلئَ بيتي* فإنّي أقول لكم إنَّهُ لا يذوقُ عشائي أحدٌ من أولئك الرجال المدعوين. لأن المدعُوّين كثيرون والمختارين قليلون.

ملكيصادق وأيو ب وراعوث. هؤلاء وإن لم ينتسِبوا إلى الرب يسوع بالجسد يشكّلون مع أجداد يسوع بالجِسد سلالة «الأمانة لله». جميعهم يشكّلون ذا ك النس ب «السرّي» الذي أظهر الله من خلاله رسم عمله الخلاصي الحاص ل بتجسّد الكلمة، ربّنا يسوع المسيح. انهم كل الذين شهدوا لله ومسيحه منذ آدم. جمع هذه الأسماء كلها هو للدلالة على ان المسيح تجسَّد لكي يُخلِّص كل البشر. فالله الذي وعد إبرهيم واسحق ويعقوب بمخلص يخرج من صلبهم، لم يترك من هم خارج إسرائيل، بل خاطبهم بآباء من خارج هذا البيت لكي يدخلهم إلى بيته ويصيروا من شعبه. فالقصد الإلهي كان منذ البدء، جمع الكل عبرانيين وأمميين إلى واحد هو المسيح الذي «جعلَ الإثنينِ واحداً ونقضَ حائطَ السياجِ المتوسط، أي العداوة،... لكي يخلُقَ الإثنين في نفسهِ إنساناً واحداً جديداً» (أف٢: ١٤–١٥).

كل هؤلاء الأجداد مرتبطون بالمسيح لأنهم عبّروا من خلال حياتهم وأقوالهم عن إيمانهم بالله وعن مجيء المسيح المنتظر. فهابيل كان صورة الراعي الصالح الذي قدَّم حياته ذبيحة وكان أول الشهداء، وملكيصادق حمل صورة الكهنوت الأبدي، وإبرهيم سُمّي أبو الآباء وله أُعطي الوعد من الله وهو مثال الإيمان المطلق بكلمة الله التي تفعل. اسحق، ابن إبرهيم الوحيد، أطاع وقَبلَ أن يكون الذبيحة المقدمة إلى الله، ويعقوب اختار بإرادته طريق الله، ويوسف في عذاباته كان صورة المسيح. أما الأنبياء فكانوا الصوت الناقل لكلمة الله والناطق بها. ومنهم من مات لأجل كلمة الله. لقد كان المسيح يخاطب قلوب الناس من خلالهم. نتذكّر في هذا اليوم كل الصدِّيقين في العهد القديم، رجالاً ونساءً، عبرانيين وغير عبرانيين، لأنهم وجدوا الحياة في الله ولم يشاؤوا أن تبقى هذه الحياة الجوهرة لهم وحدهم، بل أرادوا أن يُعرِّفوا كل البشر على الحياة الحقيقية التي سوف يحققها لنا المسيح في تجسّده. هؤلاء جميعهم سوف يظهرون «معه في المجد» متى «أظهر المسيح حياتنا» (كو ٤:٣).

لقد عاش الأجداد طيلة حياتهم ينتظرون مجيء المخلِّص وكانوا يبشِّرون الجميع بمجيئه وتمنوا لو أنهم رأوا اليوم الذي ولد فيه (راجع يو٨:٥٦). لقد هيأوا الطريق لمجيء المخلِّص و«لمَّا جاءَ مِلءُ الزمانِ أرسلَ اللهُ ابنهُ مولوداً من امرأةٍ مولوداً تحتَ الناموسِ ليفتدي الذينَ تحتَ الناموس لننالَ التَبني» (غلا ٤: ٤–٥). لقد «آمنَ إبرهيمُ باللهِ فحُسِبَ لهُ براً» (غلا ٣: ٦) و«الذينَ هم من الإيمانِ أولئكَ هم بنو إبرهيمَ» (غلا ٧:٣)، والله «بشَّرَ إبرهيمَ أن فيكَ تتباركُ جميعُ الأممِ. إذاً الذين هم من الإيمانِ يتباركونَ مع إبرهيمَ المؤمن» (غلا٣: ٨–٩). فإن كنا نحن اليوم على إيمانِ إبرهيم وننتظر ولادة المخلص في قلوبنا ونثق به، فنحن من نسل إبرهيم ونتبارك معه وننال مواعيد الخلاص.

في تعييدِنا اليوم لذكرى أجداد المسيح نؤكد لله ان إيمانهم هو إيماننا والمسيحِ الذي تنبأوا به هو مسيحنا ومخلِّصنا، ونعاهده أن يكون محور حياتنا لا بالكلام فقط بل بالنيات والأعمال.

القديس إغناطيوس الإنطاكي

في ٢٠ كانون الأول تقيم الكنيسة المقدسة تذكار القديس إغناطيوس الإنطاكي «الحامل الإله»، ثاني أسقف على الكرسي الإنطاكي، تلميذ يوحنا الحبيب، والمستشهد في روما سنة ١٠٧. ثمة تقليد يقول إن القديس

تأمل

يلاحظ ان الكثيرين يتبعون العادات المرعية بشأن الحضور إلى الكنيسة، وهي ارتداء الملابس القشيبة النظيفة ونظافة الأيدي ولا يهتمون مطلقاً لنفوسهم كي تكون نقية للمثول أمام الرب. فقولي هذا لا يمنع من تغسيل الوجه والأيدي. ولكني أرغب في أن يكون الاغتسال كما يجب ليس بالماء فقط بل بتبييض الأيدي بأعمال البر والصلاح.

فالأقذار التي تخرج من الفم هي النميمة والتجديف والشتائم والغضب والكلام الفاحش والضحك والاستهزاء. لماذا تتعب سدى بغسل لسانك بالماء وأنت الذي لوثته بالادران المضرة المهلكة؟ قل بربك أتجسر على الصلاة إن كانت يداك ملطختين بالروث والأوحال؟ بالطبع كلا! مع ان هذا لا يسبب لك أدنى ضرر. أما تلك الأقذار فمهلكة. إذاً لماذا تخاف الأشياء التي لا أهميَّة لها، ولا تبالي بالمحرَّمات. فما قولك ألا تجب الصلاة؟ نعم الصلاة واجبة؛ ولكن عليك أنت فقط أن تكون نقياً من الادران.

وما قولنا في الذي تنجس سابقاً؟ الجواب يجب أن يتطهر. بأية واسطة؟ بالبكاء والتنهد والاحسان إلى الفقراء والتسامح مع من أحزنتهم

إغناطيوس هو الولد الذي ضمه يسوع إلى صدره (مت ١٨:٤–٥).

في طريقه من إنطاكية إلى موقع استشهاده كانت للقديس محطات التقى خلالها وفوداً أتته من كنائس عدّة للتعزية والتبرّك، وكَتبَ عدَّة رسائل هي من أثمن التراث الآبائي الواصل إلينا، لما فيها من حرارة إيمان بالرب يسوع وبكنيسته المجيدة. هذا إلى جانب احتوائها على كَمّ من المعلومات القيّمة عن أحوال الكنيسة الأولى ومواقفها، وعلى تعليم أرسى قواعد للعديد من عقائدنا الإيمانية.

الـ«تدبير» الإلهي هو الفكرة المركزية في لاهوت إغناطيوس. الله يريد تخليص البشرية والعالم من طغيان سيد هذا العالم الشرير وهو الشيطان. هيّأ العالم لاقتبال الخلاص بواسطة الأنبياء الذين تحققت غاية انتظارهم في المسيح الذي هو «معلّمنا الوحيد، وكيف يسعنا أن نحيا بدونه؟ فالأنبياء القدامي، كتلاميذ له بالروح، إنتظروه كمعلّم، لذلك أقامهم عند مجيئه. فهو موضوع رجائهم» (من رسالة القديس إلى كنيسة مغنيسيا).

نظرة إغناطيوس إلى طبيعتي المسيح الإلهية والإنسانية واضحة لا زيغ فيها. فيسوع المسيح، على ما تبيِّنه الرسائل إلى أفسس وإزمير وبوليكاربوس أسقفها، هو وحده الطبيب الجسدي والروحي، الإله المتجسد وفي الموت حياةٌ حقيقيةٌ، المولود من العذراء مريم ومن الله، القابل الآلام قبلاً وغير المتألم الآن. يسوع هو حقيقة من نسل داود بحسب الجسد، وابن الله بحسب مشيئة الله وقدرته، مولود حقيقة من العذراء ومعتمد من يوحنا إتماماً لكل بر. ربنا المسيح هو أيضاً فوق كل زمان، غير المنظور الذي صار لأجلنا منظوراً. المسيح الذي لا يُلمَس ولا يطاله ألم صار لأجلنا ملموساً متألّماً ومحتملاً كل شيء.

في الوقت نفسه يهاجم القديس إغناطيوس هرطقة كانت آنذاك شائعة، تنكر على المسيح طبيعته البشرية وبالأخص آلامه، بحيث أن المسيح لم يتألم سوى ظاهرياً على ما يدعي أتباعها. فقد توجه إلى كنيستي تراليان وإزمير حاثاً إياهم على نبذ هكذا تعاليم، مسمّياً إياها أعشاباً سامة تحمل ثمار الموت، التي إن ذاق منها أحد يسقط ميتاً على الفور. حجته الأمضى في وجه هذه التعاليم كانت إقباله الشخصي على الاستشهاد الذي لو لم يكن تيمناً بالسيد وحبًّا به لكان موتاً بلا معنى بل وحتى انتحاراً وكذباً على الرب نفسه. هؤلاء الهراطقة كانوا يبتعدون عن الصلاة وعن الإشتراك في الإفخارستيا، رافضين كونها «جسد المسيح يسوع مخلّصنا، هذا الجسد الذي تألّم لأجل خطايانا وقد أقامه الأب بصلاحه»، وهم بحسب القديس سيموتون في مجادلاتهم لأنهم يرفضون عطايا الله. لذا يحثّنا إغناطيوس ن على التمسّك بالإنجيل الذي «أرانا الآلام ناجزة والقيامة محققة». وهو يسمي أتباع العقائد الزائفة، كائناً من كانوا، ملحدين وكفاراً.

الكنيسة في تعبير إغناطيوس هي مذبح التضحية، إشارة إلى أن الإفخارستيا هي ذبيحة الكنيسة. أي إن الكنيسة باتت الامتداد الدائم، الحقيقي والوحيد لذبيحة الصليب. كما يصف الإفخارستيا بأنها الترياق الحافظ من الموت، وحياة أبدية في المسيح يسوع. ويحذر إغناطيوس المؤمنين من الاشتراك بغير إفخارستيا واحدة، «لأنه لا يوجد سوى جسد واحد ربنا يسوع المسيح، وكأس واحدة توحدنا بدمه، ومذبح واحد، كما يوجد أسقف واحد مع الشيوخ والشمامسة رفقائي في الخدمة، ليكون كل ما تفعلونه تفعلونه بحسب الله». القديس إغناطيوس هو أول من سمّى جماعة

فبهذا تنظف لسانك ولا تعود تسخط الله تعالى. فإن تقدّم أحد إليك بيدين قذرتين وأمسك برجليك طالباً إليك المعذرة فإنك لا تسمح له فقط بل تدفعه برجلك. فكيف تجسر أن تتقدّم قذراً إلى الله؟ ان لسان المصلّي يد يعانق بها ركبة الله. لذلك لا تدنس لسانك كي لا يقول لك السيد: وإن أكثرتم في الصلاة لا أستمع لكم. ولأنك من كلامك تتبرأ ومن كلامك يُحكم عليك (اشعيا ١٥:١) و (أمثال ٢١:١٨) و(متى ٣٧:١٢) لهذا احفظ لسانك كحدقة العين. اللسان حصان الملك، فإن لجمته وعلّمته على السير المستقيم فالملك يكون مرتاحاً ان ركبه. أما إن تركته يعدو ويقفز بدون لجام، فلا يركبه سوى الشياطين والأرواح النجسة...

إن كنت تتقدّم من الله بحرارة فلا تسمح لنفسك بالغضب فيدخلها الشيطان ويتحد معها، بل اطرده. هكذا أمر بولس بقوله: فأريد أن يصلّي الرجال في كل مكان رافعين أيادي طاهرة بدون غضب (١ تيمو ٨:٢) وبناء عليه لا تدنس لسانك لأنه لا يستطيع بهذا أن يصلّي عنك إذ لا جرأة له على ذلك: زيّنه بالوداعة والتواضع واجعله مستحقاً أن يصرخ إلى الله تعالى: أمل أذنك إلى المسكين وأجبه برفق ووداعة (سيراخ ٨:٤).

القديس يوحنا الذهبي الفم

المؤمنين كنيسة جامعة، حاشًا إيّاهم على أن يكونوا يكون الأسقف «كما أنه حيث يكون المسيح تكون الكنيسة الجامعة».

في رسائل إغناطيوس تبيان واضح للكرامة المعطاة من الله للأسقف في وسط رعيته. فالأسقف يرأس بالمحبة ممثلاً المسيح رأس الكنيسة وعماد بنائها، الشيوخ (الكهنة) يشكّلون مجمع الرسل والشمامسة مؤتمنون على خدمة يسوع المسيح. للأسقفية في تعليم إغناطيوس بُعد يتجاوز مفاهيم الوظائف والتراتب والهيكلية، إلى حد يدعو معه القديس المؤمنين إلى التعاطي مع سيادة الأسقف لا بالنظر إلى الإنسان بل إلى قدرة الله الذي انتدبه، محترمين فيه «كمال قوة الله». فالطاعة للأسقف ليست موجهة لشخصه بل إلى الله أبي يسوع المسيح: «احترامنا للأسقف هو احترام لله الذي أحبّنا... لأن عملنا ليس مع الجسد بل مع الله الذي يرى كل الأشياء الخفية». الأسقف هو، وقبل كل شيء، السيد والمدبّر الذي سيؤدي عن المؤمنين الجواب. الحفاظ على الشركة معه يحمي من الإنحراف والهرطقة، وهو المؤتمن من الله على الإيمان ومعلّمه. الإرتباط الوثيق بالأسقف بالإحترام والمحبة والطاعة، وحده ينتج هذا التناغم الذي من دونه تبقى العبادة نشازاً، لأنه «من المفيد أن تكونوا مع أسقفكم في وحدة لا تشوبها شائبة حتى تكونوا في وحدة دائمة مع الله» (الرسالة إلى أفسس). الأسقف هو الكاهن الأكبر، المؤتمن على أسرار الله وموزعها. بدون الأسقف أو من ينتدبه الأسقف لا يقام عماد ولا إفخارستيا، وما يوافق عليه الأسقف هو المقبول عند الله. اغناطيوس يدعو أيضاً المؤمنين إلى أن لا يقام زواج خارج بركة الكنيسة الممنوحة من الأسقف، لكي تغسل النعمة الإلهية المقترنين من ترابيتهم، فيكون الزواج بحسب الله لا بحسب الشهوات.

عن الإقتداء بالمسيح يقول ان من أراد لنفسه حياة المسيح وأبيه، عليه أن يتبنى مثالهما في المبادئ والفضائل. فـ«الجسديون لا يتمّمون الأفعال الروحية ولا الروحيون الجسدية، كما أن الإيمان لا يتمّم أفعال الكفر ولا الكفر أفعال الإيمان». ولكن متى كان المؤمن مقيماً في المسيح، فحتى ما يفعله بحسب الجسد يكون روحياً، لأنه يفعله بحسب المسيح، لا بحسب الجسد. وكما أن المسيح اقتدى بأبيه، يحثّنا القديس على الإقتداء بالمسيح. لكن هذا الاقتداء لا يمكن أن ينحصر بحفظ النواميس الأخلاقية. من أراد أن تكو ن حياته ملتصقة بتعاليم المسيح يذهب إلى الآخر مقتدياً بآلام السيد وموته حباً وطاعة وفداءً بلا حدود. لهذا السبب نرى القديس يترجى محبّيه في كنيسة روما قائلاً «أتركوني أقتدي بآلام ربي وإذا كان الله في قلب واحد منكم فليفهم ما أريده وليرق لحالي لأنه يعرف ما ينتابني».

على مدى تعاليمه يردد القديس ان المسيحيين هم متحدون بالمسيح بقدر اتحادهم بأسقفهم، بالإيمان والطاعة والاشتراك في الأسرار. لا يقبل القديس بأي شكل من أشكال الإنفراد في الحياة الروحية والاتحاد السري بالمسيح. الاتحاد الحقيقي الوحيد بالمخلص هو ذاك الذي يتحقق عبر عيش الأسرار في ليتورجيا الكنيسة. بمعنى آخر، نرى القديس مركّزاً لا على الفرد المنعزل بل على جماعة المؤمنين التي «تحيا وتتحرك وتنمو كجسد ليتورجي واحد».

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb